مسألة الحجاب والسفور في تونس خلال الثلث الأول من القرن العشرين.

The issue of hijab and blacksmithing in Tunisia in the 20th century.

محمد بوطيبي
أستاذ محاضر "أ" في التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة يحي فارس بالمدية
bt.med@hotmail.com

الملخص :

تتناول الدراسة مسألة اجتماعية هامة في المجتمع التونسي خلال النصف الأول من القرن العشرين. نظرا للصراع الفكري الذي كان قائما بين النخبة التونسية، حيث طالبت النخبة المحافظة بلباس المرأة التونسية الحجاب، بينما الفئة المتمدنة طالبت بنزع الحجاب. لذلك حاولنا في هذا البحث معرفة اللباس الذي كانت تلبسه المرأة التونسية في القديم. كما حاولنا التطرق لأهم العناصر التي عالجت مسألة الحجاب. خاصة بعد تعرض تونس للحماية الفرنسية 1881، حيث حدث الاحتكاك بين العرب والأوربيين، الذي كانت له تأثيرات على الفكر والعادات التونسية.

الكلمات المفتاحية: الحجاب ؛ السفور؛ النخبة التونسية؛ النخبة المحافظة؛ النخبة المتمدنة؛ المرأة التونسية؛ لباس؛ الهادي العبيدي، ناصر الصدام، عبد العزيز الثعالبي، الطاهر الحداد.

Abstract :

The study addresses important social issue in Tunisian society during the first half of the twentieth century. Due to intellectual conflict that existed between the Tunisian elite, where conservative elites demanded the Tunisian women dress veil
(hijeb) , while the civilized category called veil.

So we tried this search know which dress she wore Tunisian women in antiquity. As we tried to address the most important items that dealt with the question of the veil (hijeb). Especially after the 1881 French protection of Tunisia, where there has been friction between Arabs and Europeans towards, which had effects on thought and customs.

key words: The Tunisian elite; the conservative elite; the educated elite; the Tunisian women; the dress; the Hadi al-Obeidi, Nasser al-Sadam, Abdelaziz Thaalabi, Tahir Haddad.

مقدمــة:

إذا كان اللباس هو الزي الذي يرتديه الإنسان لستر عورته، والمظهر الذي يعكس مدى تقدم المجتمعات، واحترام الأشخاص لأنفسهم. ويتحكم في اللباس العادات والتقاليد وطبيعة النشاط البشري، مثل النشاط الصناعي والحربي، والوظائف الإدارية والعسكرية، كما يتحكم فيه العامل الديني بدافع السترة والاحتشام عند المرأة المسلمة.

لقد تعددت وجهات نظر المفكرين والمصلحين التونسيين في شأن لباس المرأة التونسية، بين مؤيد لاحتشامها وتحجبها، وبين من كان يرى ضرورة سفورها، لذلك شكّلّ هذا الموضع مخاضا فكريا في أوساط المفكرين والمثقفين التونسيين خلال النصف الأول من القرن الماضي أمام لباس المرأة التونسية المعتادة عليه.

إن مسألة الحجاب عامة والخمار خاصة سجلت معتركا فكريا في النصف الأول من القرن العشرين في المجتمع التونسي المحافظ، باعتبار أن الخمار زي مقدس عند بعض العائلات البلدية، و رمز للمرأة المسلمة،كما يعني وضع الخمار على رأس المرأة الشرف في وسط العائلات المحترمة[1]. ولأجل ذلك كان من الضروري معرفة لباس المرأة التونسية الذي اعتادت ارتدائه قبل فرض الحماية الفرنسية 1881 وما بعدها، أي قبل أن تتأثر المرأة التونسية باللباس الأوربي، وقبل أن يخوض المفكرون التونسيون في مسألة الحجاب والسفور، وذلك لرفع الالتباس والغموض الذي يحوم حول هذه المسألة ذات الطابع الاجتماعي.

فإذا كان بعض المفكرين العرب يرون بأن حرية المرأة العربية حسمت في العالم العربي بعد الحرب العالمية الأولى في المسائل المتعلقة بالحجاب والسفور والتعليم، وأن حِدَة معارضة رجال الفكر قد خفت تماما[2]، فما هو موقع الفكر التونسي في مثل هذا المسائل؟، خاصة مسألة الحجاب والسفور، التي أثيرت بشكل كبير في نهاية العشرينات من القرن الماضي.

1 . لباس المرأة التونسية في العادة:

حتى نستطيع الإجابة عن مسألة الحجاب لدى المرأة التونسية، والجدال الذي كان قائما بين الأنصار المحافظين والعلماء الذين تمسكوا بالدلائل الشرعية التي توجب على المرأة المسلمة التونسية الالتزام بسترتها الشرعية، فإن البعض منهم اعتبر أن المرأة التونسية هي سافرة بطبعها منذ القدم إلى غاية القرن العشرين، حيث تمسكت باللباس الخاص بها والذي ورثته منذ القدم، هذا اللباس الذي اعتادته المرأة التونسية، وحافظت عليه لم يعجب البعض من التونسيين، بل طالبوا بتغييره على نمط الزي الأوربي.

1.1 لباس الحاضرة التونسية :

- كانت نساء الحاضرة التونسية باعتبارهن أنموذجا للمدن التونسية تلبسن في البيوت قميصا إلى أعلى الفخذين، وفوقه صدرية تعرف بالفرملة، تكون في العادة مزينة ومؤنقة بأنواع الحرير والفضة والعدس، وفوقها جبة ضيقة نسبيا بدون أكمام مثل القميص، وسراويل ضيقة مثل سراويل الرجال الأوربيين، تكون مفتوحة في الأسفل مع المغالاة في تحليتها.

وتضع المرأة على رأسها منديلا أسودا يعرف بالتقريطة، وفوقها قوفية على شكل عراقية. والعراقية ترتفع عن الجبين بمقدار أصبعين إلى ثمانية أصابع، تكون مطرزة بالحرير الأسود على خيط من الكتان الصلب، وفي مؤخرتها خيط مدلى ومطرز بالحرير والفضة. وتلف المرأة التونسية رقبتها ورأسها بلثام، وتتعصب على كل ذلك بتقريطة مطوية تكون ملونة، وتربط أطرافها من جهة الجبهة على شكل تاج ممسوكة بمساسك صغيرة، ويكون ما فوق قحف الرأس مكشوفا[3].

وكانت المرأة التونسية تترك ذراعيها مكشوفتين، وتضع في رجليها أنواع من الأحذية الإفرنجية، أما نساء الأعيان فكن يرتدين جواربا، بينما الخادمات من النساء يضعن إزارا أسودا تحت الحزام يكون مزركشا يغلب عليه اللون الأسود، الذي يكون قادرا على تحمل الأوساخ.[4]

لقد كانت المرأة التونسية تظهر بمظهر الزينة المتمثلة من خلال وضع الأساور (المسايس) في معصميها، والخلاخل (المقايس) في كاحليها ضاربة الأرض برجليها، وتتميز بممشطتها التي تبرز من الحايك (السفساري) الذي يستر جسدها. ولا يمكن التعدي على حرمتها من الغير المسلم. أما النساء المورسكيات والزنجيات في البلاد التونسية فلا تجلبن الانتباه والإثارة للغير، بفعل تغطية جسمها كاملا.[5]

لقد كان خروج نساء الأعيان محترما، حيث تركب المرأة السيارة التي تنقلها من الدهاليز قرب منازلهن. وتكون السيارة في العادة مغطاة بستائر حتى لا ترى المحارم من خلال نوافذها. أما النساء اللواتي تنتمين إلى الطبقة الوسطى فأثناء خروجهن كن يضعن عليهن رداء عريضا في الأسفل، وعلى وجوههن عجارا يغطي الوجه يكون مطرزا ومغروزا في ردائهن، وتصل أطراف هذا العجار إلى أيديهن، حيث يطوى ويوضع داخل الرداء. وعلى ساقيهن تضع الكتان المطرز، ولهن نعال خاصة بالخروج. أما النساء السافلات في المجتمع فكن يرتدين نفس لباس نساء الطبقة الوسطى، باستثناء العجار الذي يُعوَض بلثام أسود ثخين لا يظهر منه إلا العينين من الوجه فقط. وأما النسوة اليهوديات فلباسهن شبيه بلباس المسلمات، ماعدا الوجه الذي يكون مكشوفا لدى المرأة اليهودية [6].

2.1 لباس البوادي والأرياف التونسية:

يعتبر لباس النساء في المدن شبيه باللباس الذي ترتديه نساء العاصمة التونسية، لكنه يتميز بأنه أكثر سترة، ويمتد من أعلى الجبهة إلى أسفل الكعبين، والجبة تكون عريضة مما يجعل المرأة تربطها بحزام. أما في القرى فكانت النساء يضعن بدلا من الجبة رداء عريضا يمسك بماسك كبيرة قرب الكتف بالحذو من الصدر، ولا تلبسن المرأة الريفية السراويل على الإطلاق، وأما غطاء رؤوسهن فهو أجمل من نظيره الذي تضعه النساء في الحواضر. كما كانت بنات البوادي تتزين بشتى أنواع الحلي والأساور والخواتم والتيجان وغير ذلك من المجوهرات المزينة بالياقوت والزمرد واللؤلؤ.[7]وقد اتفق البعض ممن كتبوا في مسألة الحجاب والسفور أن المرأة في البادية كانت سافرة بطبعها في مطلع القرن العشرين، ولم تكن ترتدي الحجاب ومن هؤلاء مثلا:عبد العزيز الثعالبي،[8] والطاهر الحداد ومحمد بن الخوجة.

أما المرأة اليهودية فكان جمالها يظهر في سمنتها، فعندما يتم خطوبة الفتاة اليهودية تسعى والدتها جاهدة على تسمينها، فتقوم بحجزها في غرفة مظلمة، بحيث يقدم لها الأكل في شكل كريات من حبوب ولحم الكلاب التي يضحى بها لتفعيل السمنة مع مشروب مخفف حتى تستطيع الفتاة النوم. وتظل الفتاة على تلك الحالة لمدة ستة أسابيع كاملة.[9] وتهدى لها الحلي كي تضعها عند خروجها من سجنها، وتدخل ضمن عائلتها كي يتم زواجها والمرأة اليهودية لا تخف زينتها ولا جمالها خاصة في مواعد الحفلات.[10]

ومن خلال استعراضنا للباس المرأة في الأرياف والمدن، حسب بعض الشهادات التاريخية التونسية، فما هو موقف النخبة التونسية المفكرة من مسألتي الحجاب والسفور النسوي في النصف الأول من القرن العشرين؟ الذي تزامن مع الاحتلال الفرنسي للبلاد، وظهور فئة متمدنة من الجاليات الأوربية، من ضمنها المرأة الأوربية السافرة.

2 موقف التيار المحافظ من مسألة الحجاب والسفور:

لقد كان التيار المحافظ مناصرا للحجاب، ويرفض السفور تماما، وفقا لتعاليم الشريعة الإسلامية، بحيث يعتمد أنصاره

على الأحاديث النبوية والآيات القرآنية، ومن هؤلاء نذكر قاض سوسة الشيخ محمد القروي، الذي أشار إلى أن إبداء زينة المرأة حرام في الشريعة الإسلامية، وأنه لا يليق ببدنها وزينتها وأخلاقها وكل ما يتعلق بالزينة من والقرط والثوب إلا ما ظهر منها عن غير قصد طبقا لقول الله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾[11] ، مع جواز كشف الكفين والوجه والقدمين. وأن البنت عند بلوغها وجب عليها ستر ذاتها، ويجب أن تتحجب[12].

لقد كانت جريدة الحاضرة، وعلى رأسها المصلح علي بوشوشة[13] الذي ينحدر من أصول جزائرية سباقة إلى طرح مسألة الحجاب في نهاية القرن التاسع عشر، وبالتحديد في عام 1899، فقد حاول صاحب الجريدة السابق ذكره طرق هذا الموضوع ردا على ما ذكره المصري قاسم أمين في كتابه تحرير المرأة، هذا الأخير الذي كانت له نظرة تحررية اتجاه المرأة المسلمة، التي تدعو إلى تعليمها وستر ذاتها في إطار الشريعة الاسلامية مع ضرورة طرح الخحاب الذي يمكن أن يكون عائقا في تقدمها وتطورها. لذلك حاول علي بوشوشة مساجلة قاسم أمين حين كتب بان الحجاب اعتادته النساء المسلمات وأنه لو كان مما يريده الإسلام لقطع جهيزة كل قول خطيب.

لقد اعتبر علي بوشوشة أن الحجاب قسمان، فالأول يتعلق بستر المرأة لوجهها إذا برزت من خدرها، والثاني يتعلق بملازمتها الخدر إلا إذا دعت الضرورة لذلك، بحيث استدل بأية من سورة الأحزاب بأن أمهات المؤمنين يحرم عليهن ترك الحجب، وعلى الرجال المؤمنين مخاطبتهن من وراء حجاب، مع التأكيد على أن حجاب العامة من النساء المسلمات مسكوت عنه في تلك الآية الكريمة . فذكر في القسم الأول بأن الحجاب كان معروفا عند العرب منذ القديم، بحيث كانت تضعه نساء الأعراب والدواب، وهو البرقع الذي يكون فيه خرقتين للعينيين أما النصيف فهو اللباس الذي كان تضعه المرأة المسلمة وسمي بهذا الاسم لأنه صف بين الناس والمرأة ذاتها وحجز لأبصارهم عنها خلال فترة الجاهلية، معتمدا على ما كتبه سابقيه عن البرقع والنقاب واللغام والنصيف، ومنهم المجد، الليث، الفراء، ابن عبيد وابن سيرين .[14]لكن مع ظهور الاسلام فقد انتشر الجلباب لتخفي به المرأة المسلمة جيوبها بهدف:

- حرمة نظر الرجل للمرأة .
- حرمة الرجل للمرأة.
- عدم اظهار الناء لصدورهن.
- اخفاء أمر الزينة بستر المرأة لجسده باستثناء الوجه والكفين.[15]

وخلاصة القول التي خرج بها علي بوشوشة وهي : أن الحجاب عادة عربية قديمة، وقاعدة إسلامية سارت عليها الأمة الإسلامية، يجب الحفاظ عليها لغايات دينية اجتماعية، وأن الحجاب لا يحجب المرأة عن التقدم والرقي، ولا يمنع المرأة من التعلم والتطور، والدليل على ذلك السيدة عائشة وبنت سعيد بن نسيب وغيرهما من نساء المسلمين اللواتي برعن في العلم. وبذلك فالحجاب ليس مانعا ضد تقدم المرأة وتعلمها مالم يكن مرهونا بتربية البنات وتعليمهن على الاخلاق الدينية.[16]

لقد أشار الشيخ محمد القروي إلى ضرورة وضع المرأة المسلمة خمارا على رأسها مستدلا بالآية الكريمة ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [17]مستدل إلى فتاوى الشيخ محمود الآلوسي البغدادي في تفسير كتاب المعاني، بإخفاء جيوب المرأة كالرقبة وأعلى الصدر بالخمار قصد ستر كل ما يظهر من بدنها. ولذلك يجب على المرأة أن تستر نفسها أمام الأجانب باستثناء الآباء، أباء البعولة، أبناء أزواجهن، الإخوة، أبناء إخوانهن وأخواتهن، وأولو الإربة والصبيان الذين لا يميزون عورات النساء[18].

أما الناصر الصدام فبين ضرورة التمسك بالحجاب، لأن تفاضل الأمم الإسلامية فيما بينهم يكمن في التمسك بالحجاب، وهو تابع لتفاضلهم بالتخلق بخلق الحياء، ويرى ضرورة التركيز في تعليم الفتاة على التحفظ والوصاية بالحجاب، حتى لا تصاب بضرر دعاة السفور. حتى بلغ الأمر من الناصر الصدام الهيجان ضد دعاة السفور، ووصفهم بأنهم مقلدون للغرب باسم الحرية والتمدن، واعتبر أنه:" متى قلّ حياء شعب من الشعوب الإسلامية التي اصطلمتها المدنية الغربية وامتلكت عليها عواطفها ونسيت قوميتها فأحبّوا الغرب والغربيين حبا جما زهدوا في الحجاب، وزين لهم شياطين الغواية السفور بأنه شارة من شارات التمدن والحرية"[19].

لقد بين ناصر الصدام أن البعض من الرجال التونسيين غلبتهم شهوتهم وشقوتهم فهتكوا بالحجاب، وأتوا بيوت الغي والرذيلة من كل باب، رغبة من ذكورهم سعيا وراء التمتع بالسفور والتبرج، فبرزت نسائهم كاسيات عاريات، الأمر الذي نتج عنه الضلالات والمنكرات في المجتمع[20]. وأكثر من ذلك فإنه بين بأن الحجاب الشفاف، الذي أصبح متداولا بين الفتيات فهو من الزينة، واعتمد صاحب الرأي على جملة من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، والعادات العربية القديمة حتى في الجاهلية الذي شَرَّعَت بوجوب ارتداء الحجاب بالنسبة للمرأة المسلمة.

ومن الذين وقفوا ضد تيار السفور، نذكر المفكر حسين الجزائري[21]، الذي عارضهم وانهال عليهم بشتى الكلام المشين في مقال نشره في جريدة النديم، وشبه حسين الجزائري دعاة السفور بالتجار الذين فشلوا في بيع تجارتهم، وذلك على حد قوله:" يحمل صاحب البضاعة الرديئة البائرة بضاعته ويقتل يومه طائف بين السبل مناديا لترويج ما يهد عنقه. ولما لم يجد من أي كان إقبالا على غشه وخداعه يكفئ إلى كسر سنه فيلقي بتلك البضاعة جانبا ويبقى متحسرا لما ناله وينالاه أمثاله الخادعين من الخيبة والاندحار". وتهجّم حسين الجزائري على دعاة السفور، وبالذات علي بو حاجب[22] دون هوادة، ووصفه بالكاتب الأعمى، واتهمه بالإفتاء على حسب هواه وميوله العقلية، وتهافته على الحجاب بفعل ما نشره من أفكار في الجرائد غير العربية، ولغير المسلمين من الأوربيين، يبين فيها مدى اضطهاد النساء التونسيات في المجتمع التونسي.

ومن الذين ناصروا لباس المرأة المحتشم في طابع الشرعي والديني نجد محمد الجعايبي[23] صاحب جريدة الصواب كتب في العدد 579، بتاريخ 26 أفريل 1929م، حين كتب عن ضرورة تعليم الفتاة التونسية، وتكوينها وتطويرها في إطار الشريعة الاسلامية، الحالية من البدع والخرافات. ودعا إلى ضرورة ابتعاد المرأة التونسية عن قشور المدنية الغربية التي أصابت الفتيات التونسيات على حد قوله في المقال الذي نشرته جريدة الصواب بعنوان :***كيف يكون تعليم البنات***. والذي جاء فيه: " نحن لا ننكر أن تعليم البنات المسلمات قد أوجد في لمرأة التونسية شيء من الواجب بالشعور...لكن مع الأسف أن نجدها في الوقت نفسه قد خرجت عن طورها وشكلها وتمسكت بقشور المدنية الغربية من أزياء وإسراف وضروب الزينة وحياة الرف والملاذ حتى يخيل لنا أنها أصبحت عضوا أشل".[24]

وأكثر من ذلك ردّ عليه بأنه عميل للجرائد الصهيونية، وطلب منه الكف عن نشر فكرة سفور النسوة في أوساط المجتمع التونسي، ووجه له عبارات قاسية:" ليتك كنت فاهما ما نحن نقول يا صاحب الفجر"[25] كما رد محمد العبدلي على السيد علي بو حاجب، مبينا أن الحجاب من الدين ولا يجوز لأحد خاصة إذا كان من الأميين أن يغير أو يور ما جاء به الدين الإسلامي[26].

- ومن الذين ناصروا تحجب المرأة التونسية نذكر إبراهيم راجح الذي نشر مقالا في جريدة النديم بتاريخ 1 نوفمبر 1930 بعنوان ' رد على كتاب'، ينعت فيه الطاهر الحداد وجماعته بأنهم شرذمة من الأميين، الذين أصيبوا بداء التقليد والإلحاد، بفعل تأثرهم بأفكار الزنادقة، مدعين في ذلك حرية التفكير. ووجه راجح إبراهيم اللوم على علماء الزيتونة بالجنوح للرضا والسكوت عن الحداد، وأن الأمر يستدعي منهم حمل السلاح ضد من خولت لهم أنفسهم لمثل تلك القضايا المطروحة على الساحة التونسية،كما حارب راجح ابراهيم أيضا الحداثيين والمقلدين للغرب بأنهم لا ينتمون إلى المجتمع التونسي، مادام أنهم يعتقدون حرية التفكير. لأن الأفكار التي يحملها الجيل الجديد من الحداثيين هي طمس معالم الأمة الإسلامية. [27]

أما عن جامع الزيتونة فقد عارضت مجموعة من شيوخه الطاهر الحداد وأنصاره بشدة، معتبرين إياهم بأنهم مقلدون وناقلون وباثون لأفكار عاطلة وأراء آفلة. لذلك فحينما أصدر كتابه ***/المرأة في الشريعة والمجتمع*** عام 1930، قامت تلك المجموعة المكونة من السادة أحمد والطيب بيرم، صالح المالقي والمتفتح محمد الطاهر بن عاشور، والتي أجازت لمحمد الصالح بن مراد بطبع ونشر كتابه في 116 سبتمبر 1931، للرد عن الحداد، الموسوم ب: ***الحداد على امرأة الحداد أو رد***

الخطأ والكفر والبدع التي حواها كتاب امرأتنا في الشريعة والمجتمع، واصفا إياه بمختلف الصفات، وأنه فضح التونسيين عامة والزيتونيين على وجه الخصوص أمام العالم الإسلامي، على قوله:"حقيقة إنه فضحنا فضيحة كبرى وتجرأ على شعب كامل بل أمة إسلامية بوضعه كتاب" ***امرأتنا في الشريعة والمجتمع***" ولو عوض عنوانه بفضيحتنا في الشريعة والمجتمع لكان أصاب الحداد..." وأنه خدع التونسيين الذين صدقوا أفكاره[28]، وتبرؤا من كتابه الذي لا تحمل مسؤوليته على عاتق جماعة الزيتونة[29].

3- موقف أنصار السفور:

إن مسألة سفور المرأة التونسية ظهرت في نهاية العشرينات من القرن العشرين، وأخذت منعطفا فكريا واقعيا بين المفكرين والمرأة الحداثية التونسية الرافضة للحجاب، اقتداء بالنساء والفتيات الأوربيات.

واتخذت الهجمة على الحجاب طرائق مختلفة، مرة بطريقة ساذجة كما تحدث عنها عبد العزيز الثعالبي 1874– 1944م، حين اقتصر على الآيات التي تتحدث عن الحجاب على نساء النبي في كتابه الشهير:***روح التحرر في القرآن،*** الذي ألفه باللغة الفرنسية في باريس عام 1905، وخصص له فصلا كاملا عن هذه القضية، حيث دعا الشيخ عبد الثعالبي المرأة إلى خلع الحجاب، وترك وجهها مكشوفا، وعدم البقاء حبيسة في البيت، بل يلزمها الخروج والدخول مثل النساء الأوربيات[30]. وبذلك يكون الثعالبي من الدعاة الأوائل إلى تحرر المرأة في مستهل القرن العشرين، وربما يعود السبب في ذلك اقتناعه بأفكار قاسم أمين الداعي إلى تحرر المرأة، أثناء إقامة الثعالبي بالقاهرة ما بين 1896- 1902م.[31] فالشيخ عبد العزيز الثعالبي هو الذي شبه المرأة المحجبة بالرزمة في كتابه ***روح التحرر في القرآن،*** الذي أصدره في مطلع العشرينات، والتي تكون أثرت على الطاهر حداد في نهاية العشرينات وهو الآخر شبه المرأة المنقبة بالكلب الذي يضع الكمامة على فمه حتى لا يعضض الناس في كتابه الموسوم بامرأتنا في الشريعة والمجتمع.

اعتبر الثعالبي أن ستر الوجه عادة فارسية تسربت إلى المجتمع الإسلامي، وبعد الفتوحات الإسلامية تحول المسلمون إلى إداريين، وبذلك لانت طبائعهم المختلفة، وأن النساء المسلمات كانت سافرات، مما جعلهن يقتدين بالنساء الفارسيات، يضعن نقابا على وجوههن مثل النساء الفارسيات أمام الأجانب، فعلى حد قوله:" أن النساء المسلمات اللائي كن يتجولن في كل مكان سافرات، قد رأين من اللائق ستر وجوههن مثل النساء الفارسيات" بحجة أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) رأى أسماء أخت زوجته عائشة وجها لوجه، والحال أن الأولى شرعا تعتبر أجنبية.[32]

و اعتمد الثعالبي على بعض الأحاديث النبوية لتبرير الآراء والمواقف الشرعية التي تحث على كشف الوجه للمرأة المسلمة عموما، معتبرا أنه من الخطأ أن تقوم المرأة بستر وجهها، وتقعد حبيسة في الدار منزوية بين أركانه، بعيدة عن الحياة والحضارة. وحاول من خلال الأحاديث النبوية الشريفة أن يصل إلى فكرة، مفادها أن المرأة لا يمكن أن تكون محجوبة عن الناس[33].

حتى يؤكد الثعالبي وجهة نظره في بداية القرن العشرين، فإنه اعتمد على حجج وأدلة من كتب التفسير والأحاديث النبوية، وانتقد علماء التفسير في تبرير موقفهم من مسألة حبس المرأة في البيت، باعتبار أن وظيفة النص لم تعد مبررة كي تتماشى مع الوضع القائم في بداية القرن العشرين، وذلك بانزواء واحتجاب المرأة في البيوت.[34]

لقد اعتبر الثعالبي أن خلع الحجاب المرأة المسلمة عامة والتونسية خاصة معناه تحرير المرأة، وإشهار للحرب على التعصب والجهالة، وأن نشر الأفكار التقدمية والحضارية هو بمثابة صيانة المصالح العليا للأسرة والتراث العائلي، وبالتالي هو إعادة لتركيب المجتمع الإسلامي[35].

لقد حاول الشيخ عبد العزيز الثعالبي إسقاط بعض التأويلات على نساء النبي دون غيرهن من عامة نساء المسلمين، معتمدا على الآيات القرآنية التالية:35، 55، 32،33 من سورة الأحزاب، مبينا أن الشريعة لم تمنع نساء النبي من كشف وجوههن، بل أمرهن بالاحتجاب، وأن هذا الأمر لا ينطبق على النساء عامة، باعتبارهن لسن كأزواج

النبي. وأن التوصيات السابقة هي استثناء للقاعد العامة، وأكد الثعالبي بأنه لا توجد آية قرآنية تفرض على النساء المسلمات الخروج وهن محجبات، بل إن الفقهاء والعلماء هم الذين عمموا إظهار وجه المرأة لغير المحارم [36].

إن الشيخ عبد العزيز الثعالبي رأى من واجب المرأة أن تترك وجهها مكشوفا، ولا شيء يجبرها على البقاء محبوسة في البيت ومحجوبة عن الأنظار، ويجوز لها مثل المرأة الأوربية الدخول والخروج وقضاء حاجتها بدون أي خطر على المجتمع الإسلامي[37].

فحاول الثعالبي إثبات ما يقوله بنظرة إلى الواقع من خلال التطلع على البوادي والأرياف التونسية والمدن التونسية، حيث أن النساء في البوادي التونسية كن يمشين سافرات دون ارتداء للحجاب، عكس ما هو موجود في المدن التونسية، كما أن نساء إسطنبول التي كان يعتبرها الثعالبي عاصمة الخلافة الإسلامية هن الأخريات كن يمشين سافرات، بينما في مصر وسوريا كانت تقوم المرأة بستر نصف وجهها بحجاب رقيق وشفاف، مشبها إياه بالغلالة التي تضعها المرأة الأوربية [38].

واعتمد الثعالبي في معالجة مسألة الحجاب على نصوص الشريعة الإسلامية، وحاول أن يفصل نساء العامة عن نساء النبي، ولم يطلب من النساء العامة الاقتداء بنساء النبي، بل جعل حاجزا بينهن عكس ما ذهب إليه جماهير الفقهاء والمحدثين، وأكثر من ذلك اعتبر الواقع الاجتماعي مرجعية لتحرر المرأة من خلال إعطاء أمثلة بنساء البوادي التونسية ونظيراتهن في كل من مصر وسوريا واسطنبول وصولا إلى تحرير المرأة التونسية خاصة والمسلمة عامة.

فكان الثعالبي أول من دعا إلى تحرر المرأة في الفكر الاجتماعي التونسي، متأثرا بدون شك بمن سبقوه في ذلك الأمر بقاسم أمين الذي لا يستبعد جدا أن التقى به أثناء إقامته في القاهرة ما بين عامي 1896- 1902، وتساءل الثعالبي لماذا المرأة في المغرب الإسلامي تستر وجهها بحجاب متين ولماذا تضع الحايك (السفساري)، ما يجعلها تشبه رزمة من القماش أكثر ما تشبه شكلها الإنساني، وعاتب جمهور الفقهاء والعلماء الذين أفتوا بضرورة ستر المرأة لوجها خوفا من الفتنة، تلك الفتوة التي اعتبرها ساذجة، وإذا كان الأمر كذلك لماذا لا يلثم الرجال وجوههم بستار كما هو حال الطوارق[39].

إن دعوة الثعالبي إلى خلع الحجاب وتحرير المرأة التونسية كانت صريحة بقوله: إن خلع ذلك الحجاب معناه تحرير للمرأة وإشهار الحرب على التعصب والجهالة ونشر أفكار التقدم والحضارة وصيانة المصالح العليا للأسرة والتراث العائلي وهو يعني إعادة تركيب المجتمع.[40] وبذلك يمكن الوصول إلى نتيجة حتمية وهي أن الشيخ عبد العزيز الثعالبي استمد أفكاره في مسائل المرأة من الشريعة والمجتمع عام 1905، وكان هذا دافعا للطاهر الحداد الذي بدون شك، لتأليف كتابه الشهير المتعلق بالمرأة تحت عنوان:امرأتنا في الشريعة والمجتمع لاحقا.

إن الطاهر الحداد صاحب كتاب" ***امرأتنا في الشريعة والمجتمع"*** ، الذي أصدره في أكتوبر 1930، أثار ضجة في تونس لم يسبق لها مثيل في هذا الأمر، أحدثت جدالا كبيرا بين المثقفين والمفكرين التونسيين، ملأت أعمدة الصحف والمجلات التونسية، كما هو الحال في جريدة الصواب والنديم والزمان والنهضة، وغيرها من الصحف التونسية الأخرى التي أثارت مسألة السفور عند المرأة التونسية بين القبول والنكران لدى مختلف الاتجاهات الفكرية التونسية، التي تراوحت بين التأييد والمعارضة.

إذا كانت نظرة الحداد إجمالا في كتابه المذكور، تمحورت حول النقاط التالية:خلع الحجاب الدعوة إلى الاختلاط بين الذكور والإناث، تمكين الفتاة من اختيار شريك حياتها بنفسها، منع تعدد الزوجات في المجتمع التونسي، اقتصار الطلاق على المحاكم دون غيرها، تحديد النسل والمساواة في الإرث بين الذكور والإناث.[41] لكن الأهم في هذه المسائل هي النقطة الأولى، حيث تنكر الطاهر الحداد أصلا للحجاب واصفا نقاب المرأة بالكمامة التي توضع في فم الكلب على حد قوله:"ما أشبه ما تضع المرأة من النقاب على وجهها منعا للفجور بما يوضع من الكمامة على فم الكلاب كي لا

تعضض المارين وما أقبح ما نوحي به إلى قلب الفتاة وضميرها إذ نعلن اتهامهما وعدم الثقة إلا في الحواجز المادية التي نقيمها عليها. ونلزمها هي الأخرى أيضا أن تقتنع بما قررنا راضية بضعفها إلى هذا الحد، موقنة بخلوده الآتي من أصل تكوينها، وليس عند هذا الحد وقفنا بل قد كان هذا النوع من الحجاب رخصة لخروجها من منزلها"[42]

-وبين الطاهر الحداد بأن الحجاب له تاريخ طويلا حتى بين الرجال أنفسهم في قبائل الملثمين. واعتبر الحداد أن الحجاب في تونس محصور في المدن خصوصا وبعض القرى فقط، أما البوادي التونسية فهي سافرة بالفطرة. [43] مثلما ذكره الشيخ عبد العزيز الثعالبي ومحمد بن الخوجة.

و اعتبر الحداد أن الحجاب كان أعظم حائل بين الرجل والمرأة في اختيار كل منهما للآخر عند إرادة الزواج، باعتبار أن جمال المرأة لا يظهر على حقيقته الفعلية عندما تكون مستورة في حجابها. وهما بذلك لا يمكن أن يحققا تقارب الميول بينهما، والصفات اللازمة لنجاح في زواجهما، وليس لهما إلا أن يعتمدا على آراء الراغبين في ذلك الزواج من عائلاتهما أو أقاربهما، أو أنه ممن لا يتحملون تكاليفه أو ينتفعون بمزاياه. وتكون لهم أغراض خاصة أو شخصية لمنفعتهم في إبرامه أو عدمه لا يظهرونها، فيصبح أمره معلقا على البخت في اتفاق الميول أو تنافرها! على أنه كثيرا ما وقعت المغالطة من أهل المرأة في عين الزوجة المخطوبة والمعقود عليها اعتمادا على عدم معرفة الزوج منقطع الأهل لعينها من قبل، فتكون خاتمة الزواج الطلاق في المحاكم الشرعية.

لقد اعتبر الطاهر الحداد أن الحجاب أصبح يمثل مشاكل كثيرة للشباب التونسي، مما دفع بعضهم إلى الزواج بالأجنبيات عن معرفة سابقة بينهما. وأن تحجب المرأة وبقائها في البيت هيأ للرجال حياة خصائص معينة خارج المنزل، في المقاهي وفي الملاهي وفي المطاعم لا تعرفها النساء، حيث يصرف هؤلاء الرجال الأموال الكثيرة على رغباتهم المختلفة، في الوقت نفسه الكثير من النساء والذرية في البيوت تفتقد المواد الضرورية للمعاش اليومي، ويعود سبب ذلك في إفراط وإسراف الرجال للأموال في الفجور والسكْر والميسر وكل ما يجلب الترفيه والتسلية في حياتهم المنفصلة تماما عن أزواجهم، وإلى انفراد واحتجاب المرأة وعزلتها من رؤية هذه الحياة السافلة التي أسقطت عائلات التونسية في هوة الموت وفقدان الثروة العائلية [44]. ويبدو أن الطاهر الحداد تأثر كثيرا بالشيخ عبد العزيز الثعالبي، باعتباره أنه أثار قضية انزواء وتحجب المرأة التي كانت سببا في لجوء أزواجهن إلى الفجور مع غيرهن[45]. وبذلك المرأة الماكثة في البيت ليست على دراية بما يدور خارج البيت، ومنها يجب أن تخرج لكي تعرف ما يدور حولها وضدها.

بينما رأى سالم بن حميدة خريج المدرسة التأديبية وجامع الزيتونة، والمطلع على الفكر الغربي، نظرا لإتقانه وتحكمه في اللغة الفرنسية، من خلال الأفكار التي بدأت تتضح بين طلبته في جامع الزيتونة، من خلال والمجالس الفكرية التي كان يحضرها بمقهى الديوان، وفي الأندية الثقافية والمجلات والجرائد التونسية[46].

فقد ناد سالم بن حميدة بالمساواة بين الرجل والمرأة في مختلف الجوانب، كالتعليم والحقوق، كما ناد بسفور المرأة التونسية، منتقدا نقدا لاذعا التربية التي كانت تتلقاها البنت التونسية في أحضان أسرتها التقليدية، وحارب بعض العادات والتقاليد الدينية المعروفة في وسط المجتمع، المرتبطة بالخطوبة والمهور، وأكثر من ذلك لم يتردد في تطبيق أفكاره على بناته،اللواتي نزعن الحجاب الشرعي، وانتهى به الأمر إلى إصدار فتوى تمنع تعدد الزوجات التونسيات، دون المبالاة بالتيار المحافظ[47].

أما علي بو حاجب الذي كان من دعاة السفور أيضا، قام بنشره العديد من المقالات في بعض الجرائد المحلية، واتهم الأمة التونسية بالتفريط في جميع أركان الدين التي يغلب عليها الجهل والخرافات والأوهام، وكانت دعوته صريحة لبروز وخروج النساء سافرات في المجتمع التونسي[48].

ونفس المنحى السابق اتخذه الهادي العبيدي، الذي كان من دعاة السفور، فمن خلال كتاباته في جريدة الصواب، بين مواقفه الصريحة المنادية بسفور المرأة التونسية، وهذا ما جعل بعض خصومه ينعتوه بأنه من دعاة السفور دون

قيد أو شرط، لأن العبيدي كان يريد تعليم الفتاة وتربيتها على الدين، لكن مع تحريرها ونبذ الحجاب معتبرا إياه خرقة ضارة بصحة وعقل الفتاة التونسية. وبين الهادي العبيدي على أن هتك عرض الفتاة التونسية لا يرجع إلى السفور، بل هو نتاج للتربية في الوسط العائلي التي تنشأ عليها الفتاة. واعتبر الهادي العبيدي أن ستر المرأة لوجهها عادة من العادات السائدة في العصور الوسطى، وأنها همجية يستنكرها العقل البشري والشرائع والأديان السماوية، ويتضح هذا من خلال ما جاء في المقال الذي نشرته جريدة الصواب بتاريخ 20 جانفي 1928م [49].

إن الهادي العبيدي خاض مواجهة ضد خصمه المحافظ مصطفى بن شعبان، في مسألة سفور وحجاب المرأة التونسية عام 1928م في الجرائد التونسية، التي اهتمت بذلك الموضوع مثل جريدتي التونسي والصواب. وأكثر من ذلك فان الهادي العبيدي ردّ على خصومه ساخرا منهم، بأنهم ليسوا في مستوى المناظرة ضده، وأنهم قصر، ومن هؤلاء الكاتب مصطفى بن شعبان الذي اعتبر أنصار السفور ملحدين، لذلك ردّ الهادي عليه العبيدي على النحو التالي:" على رسلك أيها الزميل إن تحرير المرأة من قيود الاعتقال والاحتجاب فائدة عظمى إن كنت تجهلها..." وأن للسفور فوائد صحية وعقلية عظيمة على المرأة التونسية على حد قوله:"انظر إلى المرأة المتحجبة كيف أن صحتها سقيمة وسيئة وفي الحجاب مضار كثيرة تهدد هذا المجتمع بالدمار والتقهقر، ومن لا يعلم أن خمار المرأة أخطر على عفتها من السفور ".[50] كما أن عفة المرأة وشرفها لا يكمنا في ارتداء الحجاب، بل يتوقف على مدى تربيتها وتكوينها العائلي، والوسط الذي تعيش فيه الفتاة وليس مرجعه السفور.[51]وبذلك كان العبيدي يرى أنه من الأجدر عدم تمسك التونسيات بالحجاب باعتباره أنه عادة قديمة تم اللجوء في العهد العباسي بفعل كثرة المفاسد في المجتمع معتمد على المؤلف جورجي زيدان تاريخ التمدن الإسلامي. وأن الآيات والأحاديث النبوية لم تتعرض للحجاب إلا في شأن أمهات المؤمنين والحقيقة أن الهادي العبيدي كان محقا في جزء من كلامه، لأن العفة والطهارة لا تكمن في اللباس، ولكن التربية والأسرة هما عاملان أساسيان في تربية الفتاة.

إن السفور لدى الفئة التي كانت تطلق على نفسها المفكرين المتنورين لقي استحسانا كبيرا، واعتبروا أن السفور والحجاب من الأمور التي يجب إصلاحها كغيرها من الجوانب الاقتصادية والعلمية، وذلك بإخراج المرأة السافرة الوجه إلى الشوارع، بدلا من انزوائها بين جدران البيوت، تحيط بالرجل وتشاركه في جميع مهامه. فأحد أساتذة التعليم الثانوي كتب مقالا في إحدى الجرائد التونسية، يعتزم أن السفور مسألة ضرورية للمجتمع التونسي، لأن ذلك لا تتعارض مع التعاليم الإسلامية.[52]وبذلك طالب بتربية الفتاة التونسية تربية قومية عفيفة شرعية مبنية على التحرر ونبذ الحجاب باعتباره خرقة ضارة بعقلها وصحتها.[53]

لقد بلغ الأمر ببعض الحداثيين أن اعتبروا الحجاب عادة لا دين، مستندا إلى خطاب الشيخ عبد القادر المغربي الذي ألقاه في حفلة نادي تهذيب الشبيبة السورية ببيروت، تحت عنوان"محمد والمرأة"، باعتبار أن المسلمين أخذوا يقلدون النبي (صلى الله عليه وسلم) على قاعدة الناس على دين ملوكهم، فعلى حد قوله:" أخذ المسلمون يقلدون نبيهم (في الحجاب) عملا بقاعدة الناس على دين ملوكهم فحجبوا نساءهم حتى أصبحت كل امرأة مسلمة محجبة وكل بيت مسلم بلاطا ملوكيا ولكن ما أسوأ مصير الأمة التي ليس فيها رعايا عاملات وإنما كل نسائها ملكات محجبات".[54]

و يمكن تصنيف شخصيات فكرية كثيرة في تيار السفور، الذين كانوا على شاكلة الطاهر الحداد، مثل أحمد الدرعي وزين العابدين السنوسي والهادي العبيدي.[55]وعلي الجندوبي الذي كان يلازمه طول حياته، ناوش الرعاع، محمد العقربي، وغيرهم ممن أعجبوا بآرائه الإصلاحية، ومنهم زين العابدين السنوسي، الشيخ سالم بن حميدة محمود الماطري وأحمد الدرعي، محمد السعيدي، مصطفى خريف، أبو القاسم الشابي، محمد الحليوي، والحفيظ بن خوجه.[56]

في الوقت الذي اتخذ فيه البعض المفكرين والمثقفين التونسيين موقفا وسطا من الحجاب، دون التيار المحافظ الذي غالى في مسألة الحجاب والتيار المتحرر الذي غالى في مسألة السفور، ومن هؤلاء الشيخ سالم بن حميدة، الذي

اعتبر أن الحجاب ضروري للنساء إقتداء بالسلف الصالح، لكن ذلك لا يعني حبس الفتاة وجهلها على حد قوله:" وما وراء خمار يفرضه الجهل؟ وبرقع يعمي البصر، والبصيرة، والتبصر، والعقل؟ وجلباب لا يأمنه، ولا يؤمن به التقى." خوفا من أن التيار التقليدي الذي أصبح يفرض ضغوطا جاهلية على المرأة، لأنه قد يهلك نصف نسله، وينفرنهن من الإسلام كما تنفر دودة القز من بيضتها. كي تتابع تطورها ونموها الفطري، وبالتالي تصبح المرأة تتخبط في الخلاعة والتبرج في المآتم والولائم، وأماكن الخلاعة، وزيارة الزوايا والأضرحة تضرعا لهم من الخطايا والذنوب التي ارتكبنها.[57]فهو يرى أن نساء السلف كانت تقوم، بالسفر، الحج، البيعة، الغزوة، الإسعاف، الهجرة، الغزو، طي القفار وخوض البحار. وبذلك فالإسلام أخرج المرأة أسوة صالحة بارزة سافرة لا يحجبها عن المقتفيات لآثارهن إلا ما قضى به عليهن الجهلة من خمار وبرقع وحجاب .[58]

في الوقت الذي عاتب التيار المغالي في أمر السفور، الذين حاولوا الخروج عن الحشمة والوقار الذي كانت عليه النسوة في السابق، بقوله :" لست أدري ذلك وإلا متى يكون الفريق الأخر من متنوري أبنائهم وبناتهم من اغترارهم بما يروق لهم من مبادئ نسويه زينت لهم في حين نفورهم مما جحد عليهم أبائهم؟". وبذلك الأمر في هذه المسألة يستدعي الأصالة والمعاصرة وخروج المرأة للعمل والعلم والتعلم، لكن في هيأة محتشمة قوامها الدين الإسلامي واللائمة في نظره كانت مبنية على الطرفين معا بقوله:" ولست أدري متى يهب الجامدون من جمودهم، ويصد المغرورون من غرورهم، ليجتمعوا على البحث في كنوز هذا الإسلام." [59]

الخـاتمة:

عرفت البلاد التونسية خلال الفترة المعاصرة، وبالذات خلال النصف الأول من القرن العشرين جدالا فكريا بين النخب المفكرة العربية صراعا حول الكثير من المسائل الاجتماعية التي تمثلت في تعليم المرأة، الحداثة، والحجاب والسفور، والتي مست البلدان العربية،منها البلاد التونسية، التي عرفت سجالا من المواضيع المتعلقة بالمرأة التونسية.

لقد بدأت بعض الظواهر الاجتماعية المعاصرة تطبع لباس المرأة التونسية بعد الاحتلال الفرنسي لتونس 1881، نتيجة عوامل كثيرة منها احتكاك المرأة التونسية المرأة الأوربية التي مثلت عنصرا أساسيا في وسط الأسرة الأوربية الموجودة في تونس، وظهور تيارات فكرية واجتماعية متباينة تراوحت أفكارها بين الحداثة والأخذ من الغرب أو المحافظة على المكتسبات الدينية في اطارها التقدمي أو الرجعي.

لقد اختلفت مواقف النخبة التونسية في مسألة المرأة، فمنهم من كان يرى بأن المرأة التونسية سافرة بطبعها، لها عادات مكتسبة منذ القدم يجب الحفاظ عليها، وأن لباس المرأة محتشما ومستور وهو المهم في هذه المسألة، ولم تكن المرأة التونسية محجبة أو متجلببة.

اتخذت مسألة الحجاب والسفور معتركا شديدا بين النخبة التونسية المحافظة والمتمدنة في مطلع القرن العشرين وخاصة في أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات من القرن الماضي، حيث ظهرت كتابات وأفكار في العالم العربي، بما في ذلك البلاد التونسية تنادي بتحرر المرأة العربية، وخلعها للحجاب الذي ترتديه، وتيار معارض ينادي بضرورة التشبث بالحجاب الشرعي الذي اكسبته المرأة المسلمة منذ ظهور الاسلام.

إن النخبة الإصلاحية والفكرية التونسية اختلفت آراءهم في شأن موضوع الحجاب والسفور، فالمتمدنون والحداثيون الذين تأثروا بالمدنية الأوربية، وحتى النخبة الزيتونية، ومنهم عبد العزيز الثعالبي و الطاهر الحداد اعتبروا وجوب خلع الحجاب والسفور، باعتبار أن الحجاب ليس مقياس عفة المرأة والتزامها، بل هو عادة دخيلة على المجتمع التونسي، و أن له سلبياته وأضراره على المرأة التونسية، في الوقت الذي كان المحافظون يرون الحجاب مسألة شرعية مقدسة مفروض على المرأة التونسية المسلمة.

إن الصور ولمظاهر التي برزت في الفكر التونسي المعاصر تبين نماذج من المفكرين التونسيين بأسمائه، والتي طبعت الساحة الفكرية والأدبية التونسية في الفترة المعاصرة، تبين مكانة الفكر الاجتماعي التونسي في العالم العربي خلال القرن العشرين.

لقد انتصر الحداثيون على المحافظين، باعتبار أن الأوائل كسبوا الرهان السياسي، وأعطوا للمرأة حريتها وحقوقها المدنية بعد الاستقلال 1965، من خلال المنظور الوضعي الذي يتنافى أحيانا مع الجانب الشرعي. فانتصر أنصار السفور على أنصار الحجاب الشرعي، وما تزال المعركة قائمة إلى يومنا هذا قائمة في شأن هذه المسألة وإن خفت حدتها، في ظل حرية المرأة التونسية وقناعتها بالتحجب أو السفور.

الهوامـش:

[1])- ظواهر حضارية في القرن العشرين.تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية بمنوبة، 1996، ص319.

[2])- الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914.الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية. علي المحافظة، ط5، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت: 1987، ص199.

[3])- صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، م محمد بيرم الخامس، جلد1، ج 3، ط2، مصر: المطبعة الإعلامية بمصر، 1303ه، ص137

[4])- نفسه، ص137

[5])-Tunis. Léon. (Michel). 1ere Ed, paris : imp de P.A Bourdier et Ge, 1867 ;p.191.

[6])- صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، المصدر السابق، ص137.

[7])- نفسه، ص137.

[8])- روح التحرر في القرآن، عبد العزيز الثعالبي، تعريب حماد الساحلي، راجعه ووضع حواشيه: حمد المختار السلامي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1985، ص30.

[9])- TUNISIE ET TUNISIENS. Bournond.(François), paris: imprimerie J. Lefort ,1893 ;p.54.

[10])- IBID, p.56.

[11])- الآية 31 من سورة النور.

[12])- « السفور والحجاب»، محمد القروي، مج الزيتونية، المجلد 6، جُ 10، ع: 8، ماي/ جوان 1946، ص644.

[13])- علي بوشوشة: أصله من مدينة جيجل الجزائرية، هاجر جده بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر1830، حيث استقرت عائلته في بنزرت، تعمل في الزراعة، عرفت بتعليم أبنائها، ومنهم علي بوشوشة، حفظ القرآن في الكتاتيب في سن 13 من عمره، كما التحق بجامع الزيتونة، وبعدها المدرسة الصادقية، وفيها تعلم العديد من اللغات الفرنسية والانجليزية والتركية والإيطالية. كان رفقة البعثة الطلابية التي أرسلتها الحكومة إلى انجلترا وفيها مكث ثلاث سنوات، ولكن إثر دخوله البلاد التونسية لقضاء العطلة الصيفية1881، صادف الاحتلال الفرنسي لبلاده مما جعل السلطات الفرنسية تمنعهم من مغادرة البلاد بحجة حاجتها لهم في الإدارة الفرنسية، سافر إلى بريطانيا للتعليم لمدة ثلاث سنوات، وفي عام1881 عاد إلى تونس وأسس جريدة الحاضرة في نفس العام التي استمرت سبع وعشرين سنة. زار الجزائر وجمع عدة وثائق عنها في العهد العثماني، توفي في 18-08-1917. حول الموضوع. ينظر: علي العربي، علي بوشوشة حياته وأثاره. ط1، و.ث.م.ع.ت.و، تونس: 2000، ص10،9 .

[14])– « تعليم البنات»، على بوشوشة، ج الحاضرة، ع 565، 1913 جمادى الأولى 1318ه/ -10-189 م،ص 1.

[15])- ينظر نفسه، ص1.

[16])- نفسه، ص1.

[17])- الآية 31 من سورة النور.

[18])- « المقال السابق »، محمد القروي، ص 645،646.

[19])- « الحجاب من نواميس العمران وأسباب التناسل»، الناصر الصدام، مج الزيتونية، المجلد 6، جُ 1،ع: 1-06- 1945، ص 330، 331.

[20]) -نفسه، ص331.

[21])- حسين بن محمد الجزائري (1894-1974): ينحدر من عائلة تركية من أزمير هاجرت إلى الجزائر، وبعد الاحتلال الفرنسي 1830 هاجرت العائلة إلى تونس واستقرت بحي الحلفاويين بالعاصمة التونسية درس بالكتاتيب وفي الزاوية البكرية، ثم جامع الزيتونة ولم يكمل دراسته، تحول عام 1912 إلى الكاف ليشتغل كاتب وكيل، سجن مدة 44 شهر، ثم موظف عام 1957، وافته المنية في 1975/12/31 . حول الموضوع ينظر: مقامات حسين الجزائري . بن فضلة الحبيب، ط 1، تونس : شركة أروبيس للطباعة والنشر، 1998، ص ص 13-16.

[22])- علي بوحاجب: من مواليد العاصمة التونسية 20 نوفمبر 1888، وهو واحد من النخبة المتخرجين من المدرسة الصادقية، زاول تعليمه العالي في مدينة تولوز الفرنسية، كما عمل في الجانب الصحافي بداية في مجلة المنار وصوت التونسي، بعدها انخرط في صف الإصلاحيين بزعامة حسن قلاتي، كما انخرط في الحزب الاشتراكي الفرنسي وساهم في تحرير جريدة تونس الاشتراكية، كما تعامل مع سيمون زانا صاحب جريدة لوبتي ماتان في إصدار جريدة الفجر، بعدها حول نشاطه إلى الحزب الدستوري وأصبح عضوا في لجنته التنفيذية، مساهما في جريدة صوت التونسي التي أصدرها الشاذلي خير الله، إذ كتب العديد من المقالات تحت إمضاء صاحب الثياب البالية دفاعا عن الفقراء التونسيين، غير أنه انسحب من الجريدة الأخيرة، ليواصل نشاطه في جريدة لاكسيون تونيزيان العمل التونسي مع الحبيب بورقيبة ومحمود الماطري والحبيب ثامر، وبخلافه مع بورقيبة واصل مسيرته مع محمد المنستيري في جريدة صوت الشعب الناطقة بالفرنسية التي تأسست عام 1933، كما أقدم في 4 أفريل 1938 على تأسيس جريدة(LA CHARTE TUNNISIENNE) الميثاق التونسي التي طالب فيها بتحرير تونس. وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية عين وزيرا للصحة التونسية عام 1947، وتوفي في 25 مارس 1965. ينظر: أعلام الإعلام في تونس 1860-1956. حمدان محمد، ط1، تونس: مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم،1991 ص ص152-154.

[23])- محمد الجعايبي (1878-12أفريل 1938): صحفي ومناضل في الحزب الدستوري التونسي، ولد بتونس وتعلم بالجامع الأعظم والزيتونة والمدرسة الخلدونية، عضو بالجمعية الخيرية الإسلامية، أسس جريدة الصواب 1904، ومجلة خير الدين 1906، وترأس تحرير جريدة الزهرة. ينظر: الفكر الاجتماعي في تونس في النصف الأول من القرن العشرين (1900م-1950م)،محمد بوطيبي، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 1434هـ-1435هـ/ 2013م-2014م، ص 26.

[24]) - "كيف يكون تعليم البنات"، ج الصواب، ع:579، تونس،26 -04-1929، ص 1.

[25])- جريدة الفجر: مؤسسها سيمون زانا صاحب جريدة لوبتي ماتان الصهيونية من أشهر محرريها التجاني بن سالم وعلي بوحاجب، غير أن هذه الجريدة لم تدم طويلا نظر لمعرضة التونسيين لها. حول الموضوع. علما أن هناك مجلة أخرى بنفس التسمية ذات اتجاه إسلامي. الفجر: ج تونسية تأسست في 16 ذو القعدة 1338هـ الموافق أوت 1920 إلى غاية آخر شعبان 1340 عام 1922م، مؤسسها علي كاهية، أما مديرها أحمد الصافي، عنوانها 25 شارع إنكلترا بتونس، كانت تطبع بالمطبعة التونسية 57 سوق البلاط، لكن ابتداء من ع الخامس أصبحت تطبع بمطبعة النهضة 11 شارع الجزيرة بتونس، وهي دورية شهرية من الحجم 14,5× 9، حول الموضوع ينظر : مجلة النديم،ع: 537، 3 ذي الحجة هـ / 09-04- 1932، ص1و. كذلك:

La presse littéraire en Tunis de1904 -1950. Majed. (Jaafar),1ere Ed, imprimerie de la république Tunisienne, 1979, p.69.

[26])- « خرافة السفور»، حسين الجزائري، مجلة النديم، ع: 537، 3 ذي الحجة / 9-04-1932، ص1.

[27]) - حركة الإصلاح والتحديث في تونس. قمعون الصحراوي، تق: الشاذلي القليبي، ط1، مطبعة سنابكت، تونس: 2012، ص 63.

[28])- الحداد على امرأة الحداد أو رد الخطأ والكفر والبدع التي حواها كتاب امرأتنا في الشريعة والمجتمع. ط 1، المطبعة التونسية، تونس: 1350هـ/ 1930م.انظر مقدمة الكتاب، ص ص 3-6.

[29])- نفسه، ص 222.

[30])-، حمادي الساحلي في آخر كتاباته. الساحلي محمد العزيز، تونس: المركز الوطني للاتصال الثقافي، 2008.، ص92.

[31])- نفسه، ص92.

[32]) -روح التحرر في القرآن. الثعالبي عبد العزيز، تع: حماد الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1985، ص 22 .

[33])- نفسه، ص 23 .

[34])- المرأة في الحركة الصلاحية من الطاهر الحداد إلى زين العابدين بن علي. وزارة المرأة والأسرة، ط1، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، تونس: 2009، ص28.

[35])- روح التحرر في القرآن، المصدر السابق، ص 24 .

[36])- نفسه، ص27.

[37])- نفسه، ص29.

[38])- نفسه، ص30.

[39])- نفسه،ص30.

[40])نفسه، ص24.

[41]) - الساحلي، المرجع السابق، ص98.

[42])- امرأتنا في الشريعة والمجتمع. الطاهر حداد، د ط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالرغاية، 1992، ص117.

[43])- الطاهر الحداد، جعفر ماجد، د ط، قرطاج، مطبعة مصنع الكتاب بالشركة التونسية للتوزيع، تونس: دت، ص150.

[44])- نفسه، ص ص100- 118.

المدرسة التأديبية*: هي المدرسة العصفورية أنشأت عام 1312هـ/ 1895م، بهدف تكوين المعلمين الذين يدرسون التلاميذ في المدارس الابتدائية والكتاتيب القرآنية أول من تولى إدارتها إسماعيل الصفائحي . ينظر: أليس الصبح بقريب، الطاهر بن عاشور، ط 1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة: 2006، ص99، 100.

[45])-روح التحرر في القرآن، المصدر السايق، ص32.

[46] - « المدارس العصرية والفكر التونسي الحديث»)، محمد الحبيب عباس، مجلة الفكر، ع: 13، جوان1968، ص58، 59.

[47])- نفسه، ص59.

[48]) - «خرافة السفور»، مج النديم، ع: 537،المصدر السابق، ص1.

[49])- «الحجاب والسفور»، الهادي العبيدي، ج الصواب، ع:11،529شعبان 1346هـ/ 28-02 -1928م،ص2.

[50])- نفسه، ص2.

[51])- «تعليم المرأة والحجاب»، الهادي العبيدي، ج الصواب،ع: 566، 17رجب1347هـ/20-01-1928م، ص3.

[52])- « المرأة والتطور»، ج التونسي، ع: 571، ص3.

[53])- « تعليم المرأة والحجاب»، المقال السابق، ص3.

[54]) - « الحجاب عادة لا دين». الناقد، ج الصواب، ع: 532، 25 رمضان 1346هـ/ 16-03-1928م، ص1.

[55])- الساحلي، المرجع السابق، ص99.

[56])- الزعيم فرحات حشاد بطل الكفاح الاجتماعي والوطني، شهيد الحرية حياته ونضاله وفكره وكتاباته. أحمد خالد، ط1، مطابع الشان إليزي، تونس: 2007، ص253.

[57])- الزهريات. تحقيق محمد الحبيب عباس، د سالم بن حميدة، ط، مطبعة مصنع الكتاب للشركة التونسية للتوزيع، تونس: 1976، ص277.

[58])- نفسه، ص 278.

[59])- نفسه، ص 277، 278.